

فإذا كان اولاد هذا البيت كلهم او اكثرهم ينقطعون للباحث العلية ويتقدمون العلم بالملم ويجرون في اتفاق على سنة العلماء اي لا ينقون منه جزافاً بقيت ثروة البيت الى ما شاء الله واستفاد نوع الانسان منه فوائد لا تعدر وهذا احسن مستقبل لتنهائه له

البرتغال وجمهوريتها

قيام الجمهورية في البرتغال سرراً قوماً وساء آخرين حتى من غير سكان تلك البلاد . سرراً الذين يقولون ان الناس متساوون في الحقوق وانهُ ليس لاحد سلطة مشروعة على آخر الا اذا اراد هذا ان يسلط الاول عليه باختياره . فاذا اتفقت امة على تولية شرؤها بعض افرادها سار لاولئك الافراد سلطة مستمدة من الشعب . وهذا يقتضي بان تكون الحكومات كلها نيابية وان تكون ايضاً جمهورية او ملكية مبنية على مبايعة الشعب . ولا سلطة مشروعة بغير ذلك . فالبرتغال نادت الى الحكومة الطبيعية الصالحة للامم الراقية ومنتعد بحكومتها . ولكن ساء عملاً الذين يقولون ان السيادة حق موروث مهاباً كان اصلها وان على الناس ان يخضعوا للمؤكهم سواء كانت اولئك الملك برة او فجرة ولذلك سيأول انقلاب الحكومة في البرتغال الى خرابها

الا ان الباحث في احوال البشرية ان سعادتهم وشفاءهم غير مرتبطين بنوع حكومتهم فقد تكون الحكومة ملكية استبدادية ولا تضر بالشعب بل يرتقي في عهدها . وقد تكون جمهورية نيابية ولا يرتقي الشعب في عهدها بل يخط . فان للارتقاء اسباباً كثيرة والحكومة سبب منها لا كلها . والغالب ان الحكومة التي تستمر في بلاد هي الحكومة الصالحة لتلك البلاد او كما تكونوا يروى عليكم . فاذا اتفقت لشعب حكومة منخطة عنه رقاعاً الى ان تصل الى مستواه واذا اتفقت حكومة مرتقية عنه انحطت رويداً رويداً الى ان تدانيه . والحكومة والامة لتفعلان الى ان تصيرا على مستوى واحد اما بارتقاء الواحدة واما بالانحطاط الاخرى

وقد قرأنا لبعضهم حديثاً جرى بينه وبين وزير الخارجية في بلاد البرتغال يشف عن آراء الحكومة الحاضرة وآمالها لخصناه في ما يلي . قال الكاتب :-

مشيت نصف الليل في الشارع المؤدي الى دار نظارة الخارجية لاقابل ناظرها السيور برنادينو مشادو وكنت قد طلبت منه ان يسمح لي بمقابلته ومعاتبه فسمع وعين تلك الساعة مشيت فرأيت الشوارع خالية من المارة لم اجد فيها الا اثنين من رجال العسس يسيرون

كن يمشي في نومه الآن الانوار كانت تلتأ لأن كوى مظارة الساخلية ونظارة العدلية ونظارة الاشغال العمومية دلالة على ان عمان الحكومة يصلون ليهم بالنهار . وكانت المركبات واقفة امام ابواب هذه النظارات منتظرة اصحابها ورأيت امام باب نظارة الخارجية اتومو بيلاً أطفئت مصابيحها اقتصاداً ونام سائقة فيه وسان خالو يقول ان الجمهورية تساوي بين صاحب المركبة وسائقها

وكان باب النظارة مقفلاً ففرعته اولاً وثانياً وثالثاً فقام البواب وفتحها وهو منمض الصنين وقال لي انت الناظر لا يزال هنا حقيقة ولكن لا يمكن ان يقابل احداً الآن . فابت له ان الناظر هو الذي عين هذه الساعة لاقابله فيها . وبعد جدال طويل اخذ اسمي ودخل ووقفت استنشق هواء الليل الى ان عاد بعد عشر دقائق وصعد بي الى حيث غرفة الناظر وادخلني غرفة فاخرة الاثاث والرياش يدل حاضرها على مجد ماضيها . وهناك خمسة عليهم سياه الالفة والترفع كما يكون كبار الموظفين عادة احدهم قائم في زاوية الترفة وآخر يجادل مع وكيل جريدة في امر اوراق الدعوة الى وليمة وطنية واثنان يكتبان . وقال لي احد الكتاب وكأنه كان مأموراً بما يري في ان يفرغ الناظر ويدعوني اليه فجعل يجادلني في مواضع لا شأن لها عندي ولا شأن في امر موظفي الحكومة وكثرة اشغالهم واضطرارهم الى السهر حتى الساعة الرابعة صباحاً والقيام الساعة الثامنة . وقال ان رجال الحكومة الجمهورية يصحون النفس والنفيس في خدمة وطنهم ولكن لكل منهم عائلة وعليه ان يهتم بامرها فلا يجوز له ان يظلم صحته ويترك عائلته ولا سند لها . ويجعل هذا الحديث قضيتنا ساعة زمانية ولم نسمع كلمة من غرفة الناظر وكان الموظفون يدخلون اليها باوراق ثم يعودون . ونهض الرجل الذي كان قائماً في الزاوية وزرراً رداً وانطلق وسمعت ان يكون الناظر قد نسي دعوته في والميعاد الذي ضربته فقلت لسكرتيري لعل معادته نسي وقد حان وقت النوم فلما امضي الآن وآت في وقت آخر . ولما قلت له ذلك نهض ودخل غرفة الناظر من غير استئذان وبعد قليل خرج منها كاتبان ومعهما حملان من الاوراق ودُعيت للدخول

رأيت السيور برنادينو مشادو جالاً امام مكتب تشير الاوراق المتراكمة عليه من غير ترتيب الى كثرة اشغال الحكومة . ولا يدل منظر الناظر على انه من رجال الثورة بوجه من الوجوه بل على انه من اهل النظر المتصفين بسلامة النية وحب المسالمة . فلما نظرت اتي فصر قائمه وصغر جسمه تذكرت ما قاله في عهد رئيس الجمهورية منذ بضعة ايام وهو انه رجل جور يحب بلاده كما يحب اولاده . وتذكرت ايضاً بيته وسداجده وكثرة من فيه من

الاولاد واستغربت كيف ان رجلاً مثله يلقب بالاب مشاود يستطيع ان يقلب عروش الملوك ويغازب رجلاً غشوماً حاد الطبع مثل السيور افسو كوستا . ولكن الثورات يشترك فيها الفيلسوف والسفاح ويبران معاً نحو اسمى الاغراض وهو مصلحة الجمهور ثم دار الحديث بيننا وكان الشاظر يتكلم بصراحة كمن يقصد ان يطلع كل معنى من معانيه الى ذهني . ابتدأ بقوله ارى انك كنت تجول في شمال البلاد ويظهر مما كتبت انك تعتقد ان الناس هناك لا يزالون دنيين متقادين الى رجال الدين . اسمع ما اقول لك انتم الاجانب لا ترون الأظاهر ولكني اقول لك ان لي هناك بعض الاملاك وانا اعرف الناس معرفة تامة واوكد لك ان ليس لهم ضلع مع رجال الدين . هم على غاية ما يكون من النبالة وعزة النفس وحب العمل كل واحد منهم لا يتأخر عن ان يقتدي ببلاده بنفسه ويضحي كل شيء لاجل مجدها وشرفها ولكن ما من احد منهم يضحي اقل شيء لاجل الدين او رجال الدين

فقلت له ليس من العدل ان نطلب من الناس الآن ان يفحوا انفسهم لاجل دينهم ونجعل ذلك شرطاً لايات كونهم اهل ديانة فقال كلاً ولكن م لا يزالون بالدين وما من احد من الاجانب يستطيع ان يعرف حقيقة طباع البرتغاليين اما نحن فنعرفهم كما هم . ولقد كنت اتألم حينما ارى ما يكتب في الجرائد الاوردية ولكن الجرائد تشتري بالمال وحزب الملكية غني وما قال ذلك دخل كاتب وفتح درجاً من مكتبه من غير استئذان واخرج اوراقاً منه وسار بها فاستغربت هذه الحرية ثم قلت للناظر اني تكلمت مع كثيرين من الفلاحين ولم ارا منهم ما يدل على انهم يريدون قلب الحكومة الجمهورية انتصاراً للملكية او للكنيسة ولكنني رأيتهم يلومون الحكومة على السياسة التي اتبعتها ضد رجال الدين وكانوا يذكرون لي ثلاثة امور يشتمونها على الحكومة وهي معاملة الزاهيات اخوات الفقراء ومعاقبة قضاء فرنكو والقاه جرائد الملكية وقد اجتمعوا على لوم الحكومة لمعايبتها القضاء

ولما قلت ذلك وشب دائماً وقال ان اخوات الفقراء نساء صالحات بلا ريب ولكن الجمهورية تكره الزهينات كلها على اختلاف انواعها . واهل الشمال الذين رأيتهم اذا رأوا راهبة من هؤلاء الزاهيات قالوا انها تفري بناثا وتخرب بيوتنا . والنساء ضعيفات كما لا يخفى ويسهل اقتناعهن بان المعيشة الدينية تطلب منهن ان يترهين وينقطعن عن العالم وتوخرت البيوت بسبب ذلك . وكثيراً ما ينقاد المرء الى شيء يجعله ينقطع له تماماً كما فعلت

انا في تركي بيتي وراحتي لاجل خدمة وطني ولكن الفرق بيني وبين اخوات الشراء اني بخدمة وطني اخدم بيتي ايضا واما هن فلا يخدمن بيوتهن مع ان مكانهن الحقيقي هو البيت وقد خلقن ليكن ربات بيوت

فقلت له ان الديانة المسيحية تبيح التبثل وتغيب اليه

فقال نعم ولا يصعب على رجالنا ان يفسروا تعاليمها حسبها يشاؤون اما الجمهورية فلا تعرف لها ديانة غير طاعة الانسان لتضمير وواجباته لاتباء نوعه

ثم التفت الى مسألة القضاة وقال ماذا يفهم الفلاحون من هذه المسألة وماذا يفهم الاجانب منها . الدول وقتت حولنا تحاطبا بكلام ثقيل ولكن هل خطر لها حقيقة انا نفضي عن العميان . لو فعل النظار ما يطلب منهم لكنت ترى اولئك القضاة الآن في غيابات السجون ولكنهم اظهروا من الذين ما يفوق الاحتمال . وهل عرف احد من المنتقدين علينا ان القضاة قاموا بالجمهورية وطلبوا حالة المسألة الى مجلس الاعيان كأنهم لا يزالون في حكم الملكية

وسمعت حينئذ حركة امام الباب والتفت الى الساعة فرأيتها واحدة ونصفا بعد نصف الليل فتعجرت للقيام اما هو فلم يعبأ بالحركة بل قال ان الدول تظن انها احكمت العدل فلا يعمل به غيرها مع انها لا تزال تفرغ في حماة الملكية

فقلت ان امور الحكومة متوقفة على اخلاق رجالها لا على اسمائهم ومناصبهم فقادني قولي هذا الى بحث طويل في واجبات الحكومة عززه بالشواهد الكثيرة من هيجل وكنت الى ان وصل الى قوله اما نحن اهائي البرتغال فقد اخترنا الجمهورية وهي باقية عندنا فقلت له اذا كان الامر كذلك فما معنى الابطهاج بالملك مانويل لما ساج في الجهات الشمالية من البلاد منذ سنتين

فلم يجيني على هذا السؤال بل سألتني « هل قرأت الكتاب المعنون من الملكية الى الجمهورية » وقال انه هو قرأه في اوقات فراغه فذكره بنشاق التي كابدها في اخراج البلاد من الملكية الى الجمهورية . و اشار الى الصحافة فقال انها مطلقة الحرية في البرتغال وكل احد يستطيع ان يكتب ما يشاء

فاشرت الى ماجري لمنويل هوم كرمو

لفهض قائما وابتعد كرمية وجعل يمشي في الغرفة ذهابا وايابا وهو يقول بوفو دفيرو ثم دنامي وقال ماذا تعرف من امر الفيور كرمو اعلم انه كان جمهوريا فارتد عن الجمهورية

انتم انتم رجل شرير وجريده، آله للشر. الخطأ الكبير الذي ارتكبناه اننا علمناه بالتوراة ولكن كن على ثقة اننا لا نرضخ للاهانة

فقلت اني اعلم ان السنيور كرمستو اختلف مع ناظر العدالة وانتقد ما يحسبه من الغلاط الحكومة الرقنية كما انتقد قبلاً عيوب الملكية

فقال هذا عار ثم دنا من مكتبه وتناول نسخة من المجلة الرقنية National Review و اشار الى مقالة فيها وقال ان جرائدكم لا تنقل عن جرائدنا وقاحة هل قرأت هذه المقالة - لا يجوز ان تطلق الحرية لتصحافة الى هذا الحد ولا يلقى بحكومتكم وهي تدعي صداقة البرتغال ان تستمع بشرف هذه الاكاذيب

فقلت له ان الحكومات الملكية القديمة لا تستطيع ان تسلط على الصحافة كالجمهوريات الجديدة وانما يلقى بالنيطسوف الحكيم مثله ان لا يعاب بانتقاد مثل هذا وان رجال المناصب المالية معرضون للانتقاد دائماً

فقال نعم ولكن اذا رميت احداً بالرحل فلا يبعد ان يلقى بالرحل به . ويظهر لي ان حكوماتكم الملكية ترقبنا الآن بعين النيرة والجشع لتربص الفرص لتخطف مستمراتنا وهي تعظم مفراتنا وتنمو بالعدل والحرية والمساواة كما لنا لا نعرف هذه الامور

وفتح الباب حينئذ فالتفت الى الساعة واذا هي الثانية بعد نصف الليل فنهضت وودعته قائلاً اني اتنى للجمهورية كل نجاح فان كل امة تنال الحكومة التي تقيها واحالي البرتغال يستحقون افضل الحكومات . فقال تعال الى هنا بعد عشر سنوات قترى بناء جمهوريتنا الجديد قد تم ولا نطلب منكم الا ان تصبروا علينا وترثوا لنا

اذا دل هذا الحديث على ما يراه رجال الحكومة البرتغالية وما يعملون به فقد ارتكبوا خطأ كبيراً في استضعافهم السلطة الدينية على النفوس ولا سيما على نفوس العامة فاننا لا نتصور ان الامر كذلك في بلاد البرتغال الا اذا كانت سيرة رجال الدين فيها نفرت الناس منهم واوجدتهم عليهم . وارتكبوا خطأ آخر في مصادرة رجال الدين وكان الاول بهم ان يغتسروا الطرف عنهم واذا راوا منهم مقلومة حقيقية لمبادئ الجمهورية حاكمهم وحكموا عليهم حسب شريعة البلاد او استعانوا بخيارهم على شرارهم فانه اذا كانت الحكومة الجمهورية صالحة لتلك البلاد فلا بد من ان يرى القتلاء الفضلاء صلاحها لها ويؤيدوها بكل جهدهم والا فعي غير صالحة لها ووضعها فيها ونزع للشيء في غير محله